Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندما يورد بيْدَبَا حكاياته فإنّه لا يدّعي أنّه اخترعها، بل ينسبها إلى أشخاص لا يسمّيهم، وهذا ما نجده في عبارة «زَعَمُوا أنّ» التي تبتدئ بها كل حكاية. تُرَى من هم أصحاب الزّعْم ؟ من اخترع الحكايات ؟ على الرّغم من كوننا لن نهتدي إلى جواب دقيق، فإنّ بوسعنا أن نقول إنّ بعض ملامح أصحاب الزّعم تفرض نفسها. فهم عاشوا قبل بيْدَبَا، وهذا السّبق في الزّمن يمنحهم مزية عظيمة، ثم هم حكماء حكوا ما حكوا قصد إفادة من سيأتي بعدهم ويطلع على أقوالهم. الحكمة تنبع من الماضي، والسّلوك المحمود هو الذي يكرّر النّماذج السّالفة. لا يصرّح بيدَبَا بأنّ الحُكماء الذين أخذ عنهم أهل ثقة وأصحاب فضل، ولكنّه يشير ضمنياً إلى أنّ الحِكمة خرجت من أفواههم، وإلاّ فلِم يردّد ما قالوا ؟ لِمَ يروي عنهم ؟ لِمَ يستشهد بكلامهم ؟

هذا الاستشهاد المتواتر يدلّ على أنّه يقدّرهم ويرى فيهم معدن الحق والخير. الصّورة التي يرسمها لهؤلاء الرّواة هي صورة حكماء عاشوا في زمن النّبع الذي يجب أن يرتوي منه كل من ينشد الحكمة.(4) إنّهم تجسيد للحكمة، وبهذا المعنى لا داعي لتسميتهم، لأنّ الإعلان عن هويتهم لن تترتّب عنه إلاّ حكمة نسبية، مرتبطة بأمورٍ طارئةٍ وعارضة. إنّ ما يرمي إليه بَيْدَبَا هو على العكس منح الحكمة صبغة المطلق أو الضّرورة القصوى، بحيث تصير قائمةً بذاتها لا تعتمد على أيّ سَنَدٍ أو مرجعٍ معين.

قد يتّضح هذا الجانب إذا عرجنا هنيهة على **ألف ليلة وليلة**. فشهرزاد لا تدّعي أنّها مؤلّفة الحكايات التي تقوم بروايتها. إنّها بدورها تنسب ما تروي إلى أشخاص مجهولي الهوية فتقول عند الشروع في السّرد : «بَلَغَنِي أنّ...». هذه العبارة لا تشير إلى مؤلّفي الحكايات وإنّما إلى الرّواة الذين تناقلوا الحكايات

4) «ما أرى الأوّلَ تَرَكَ للأخيرِ مقالاً في شيء من معاريضِ الأمور» (ابن المقفّع، ص. 121). لتوضيح معنى كلمة «أدب» عند ابن المقفّع، ينبغي في نظري ربطها بكلمات ثلاث تنتمي إلى الجذر نفسه : بدء، أبد، دأب. فالأدب يعود إلى البَدْء لأنّه صادر عن الأوائل، ثم صار دأب اللاحقين والتّابعين أي صار عادة يلتزمون بها ونهجاً يسيرون عليه، ومن المفروض أن يستمر العمل بالأدب أبد الدّهر...